ولكم في الصديق نجاة...!

قال وهو يلقي بالجريدة على المكتب الخشبي البسيط:

_ أصبحنا نسمع أخبار القتل كما لو كانت إعلانات سلع غذائية..!

_ أضحت الدنيا غابة يا صديقي.

_ زوج قتل زوجته لأنه اكتشف أن أبناءه الثلاثة ليسوا أبناءه.

_ ما أبشع خيانتها، لا بد أنها كانت تكرهه، كيف عاشت معه كل هذا الوقت؟

_ من الخطأ أن نُصدر علي النفس البشرية أحكامًا نهائية، نغتر بميولها وعزوفها لكن لا الميل دليل حب ولا العزوف دليل كراهية، وهكذا تبدي لك الأيام عكس ما تظهره النفوس..!

_آه يا صديقي، محامٍ بدرجة فيلسوف.

(عصام) المحامي الذي فرّ تاركًا أرضه وأهله في الصعيد؛ ليؤسس حياة بعيدة عن نيران الثأر والانتقام، مع زوجته (سعاد) التي تزوجها بعد قصة حب عاشا فصولها بين جدران الجامعة، وكان (كريم) هو ثمرة ذلك الزواج، رغم مهارة (عصام) في مهنته تلك، إلا أنه مغمور في ذلك الحي الشعبي، زبائنه مساكين طيبون كما يصفهم (خيري) صديقه الطبيب، الذي يمتلك عيادة في نفس الحي الشعبي، بالإضافة إلى عيادته الخاصة في ذلك الحي الراقي الذي يقطن فيه، والتي تفوز بجلِّ وقته.

تنمو الصداقة بين المحامي والطبيب، والتي نبتت بذورها مذ كانا في الجامعة، رغم اختلاف ظروف كل منهما، ساعد على ذلك انتقال (عصام) للعيش في القاهرة، فأصبحت الصداقة بين

الأسرتين، رغم اختلاف مستواهما الاجتماعي.

التاسعة صباحًا يُخيل إليك من قسوة شمس يوليو أنها الثانية ظهرًا، فوجئت (سعاد) بزيارة (خيري)، رحَّبت به وفي نفسها حيرة جاهدت في إخفائها، قدّمت له القهوة، سادة كما يُحبها، سألته عن أخبار زوجته (غادة)، شرد قليلًا قبل أن يرد:

_ تزداد الفجوة بيننا يومًا بعد يوم.

_ غادة ودودة وطيبة، أنت ومها كل حياتها.

_ لكنها ليست حياتي، ولم أخترها..!

ارتبكت قليلًا، ثم قالت:

_ ليس كل ما يحدث لنا هو باختيارنا، أحيانًا نكون مضطرين لتقبل الواقع، لكن لا شك أن الرضا بذلك الواقع بإمكانه أن يُضفي عليه بعض الجمال!

_ لا زالت نظرتكِ الفلسفية هذه تسيطر عليكِ، لا زالت روحكِ جميلة وستظل.

انتبهت لتلميحاته، فحاولت إنهاء الحديث، لكنه انفعل فجأة، وقال بعصبية:

_ لا زلتِ تصدينني، حتى بعد أن أثبتت لكِ الأيام سوء اختياركِ..!

وقفت (سعاد) مندهشة، ثم توجهت ناحية الباب، وأشارت إليه بيدها دون أن تتحدث، فهَمَّ بالذهاب -وهو يرمقها بنظرة عتاب حزينة- دون أن ينبس ببنت شفه.

«إذن هو لم ينسَ ما مضى، لم ينسَ رغم علاقته بعصام» حزنت حزنًا شديدًا، لقد أخفت عن زوجها الأمر منذ البداية، لم

تخبره أن (خيري) سبق وفكر في الزواج منها، فماذا ستخبره الآن؟

في شرفة المنزل -التي تزينها (سعاد) بأزهار الريحان العطرة فتبدو مع بساطتها جميلة جذابة-، يجلس (عصام) بعد تناول الغداء، شارد النظر زائغ العينين، تدخل وهي تقول في غنج:

_ وعندك اتنين شاي صعيدي حبر.

_ سلمت يداكِ حبيبتي.

_ هل حدث شيء اليوم في المحكمة؟ تبدو شارد الذهن مذ عودتك..!

_ كانت قضية غريبة، أخذت من الفكر والنفس ما أخذت.

_ المهم أنك أنهيتها ببراعة، يجب أن تعزمنا على العشاء الليلة؛ حتى تغسل عقلك من بقاياها، أقول لمصلحتك.

ضحكا بعذوبة وفي نفس كل منهما أمرٌ يخفيه عن الآخر، أما هو فيخفي ما عرفه من أحد أقاربه اليوم من تطور في أمر الثأر، لقد أصبح معرضًا للقتل في أية لحظة..!

بعد عدة أيام، جاء رجل إلى مكتب (عصام)، قُدّرَ لذلك الرجل أن يراه (خيري)، الذي استطاع بدهائه أن يعلم ما وراء الرجل، فاستيقظت نفسه الأمارة بالسوء.

في العاشرة مساء، كان (عصام) يقود سيارته التي لم ينته من سداد أقساطها بعد، بجانبه زوجته وابنه، عائدين بعد سهرة لطيفة في منزل (خيري)، الذي ظل واجمًا طوال الوقت، تتعالى أصوات الضحكات من أفواه الأسرة الصغيرة السعيدة، تتراقص

ضحكاتهم مع نسمات الهواء الطفيفة، فإذا بإعصار من الرصاص يغتال تلك الضحكات..!

بعد أسبوعين، كان (عصام) جالسًا في تلك الشرفة وسط أزهار الريحان اليابسة فوق كرسي متحرك، و(عم عبده) -الرجل الذي يأتي لخدمته- يسأله إن كان يريد منه شيئًا قبل ذهابه، فسمح له بالانصراف، وانكفأ (عصام) إلى أوراقه الممزوجة بدموع الفقد، يُنَقّحُ قصيدة كان قد كتبها في الصداقة وحب الصديق..!